

البلاغة

البلاغة لغة : بلغ الشيء ، يبلغ بلوغاً وبلاغاً اي وصل وانتهى ، ويقال : رجل بليغ اي يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه .

البلاغة في الاصطلاح : تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة ، لها في النفس اثر خلاب مع ملاءمة محل كلام للموطن الذي يقال فيه .

الكلام البليغ : هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين .

الفصاحة في اللغة : لها معان كثيرة منها : البيان والظهور .

قالت العرب : أفصح الصبح اذا أضاء ، وفصح اللسان اذا عبر كما في نفسه ، قال تعالى : **{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً}** (القصص : ٣٤) اي أظهر مني قولاً .

الفصاحة في الاصطلاح : هي الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم ، والمأنوسة الاستعمال بين الشعراء والكتّاب لمكان حسنها .

الفرق بين الفصاحة والبلاغة

١. الفصاحة محضورة على وصف الألفاظ ، في حين ان البلاغة لا تكون الا وصفاً للألفاظ مع المعاني .

٢. الفصاحة تكون وصفاً للكلمة والكلام ، في حين ان البلاغة لا تكون وصفاً للكلام .

فكل كلام بليغ هو فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً .

نشأة البلاغة :

ان الباحث حينما يتلمس البذور الاولى للبلاغة العربية قبل عهد التدوين والتأليف يجد أن العرب عرفوا كثيرا من الاحكام النقدية التي اعانتهم على تفهم الشعر وتذوقه ونقده ، والامة التي أنجبت الشعراء الفحول والخطباء المصاقع لا بد أنتعرف المعالم التي يختطها الشعراء ويترسمها الخطباء ، واذا كان كثير من الاحكام النقدية قبل الاسلام لم يصل الينا مع ما وصل من شعر وخطب وأمثال ، فان بعض تلك الاحكام تناقلتها الألسن وتداولتها الكتب ، وقد وصف القرآن الكريم العرب بأنهم أصحاب بيان فقال سبحانه وتعالى ((الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الانسان (٣) علمه البيان (٤))) وقال عن حسن كلامهم وشدة أسره وتأثيره في النفوس ((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا)) ووصف الوليد بن المغيرة القرآن وقال ((والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق))

ويمكن أن يستدل الباحث على أن العرب عرفوا كثيراً من الأحكام النقدية قبل الاسلام بأمرين :

الأول : عقلي لا يمكن انكاره ، وهو أنه لا يصدق أن الشعر وصل الى ما وصل اليه في ذلك العهد ، وان الخطابة بلغت ذروتها ، وان اللغة أخذت صورتها من غير أن يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك ، ومن غير أن تكون هناك أصول عامة تعارف عليها الشعراء والمتكلمون وساروا عليها فيما نظموا أو قالوا : ومهما تحدّث الباحثون عن السليقة الصافية والذوق السليم ، ومهما وصفوها بالفطنة والذكاء ، فان العقل لينكر أن يكون ما كان من غير ثقافة ودربة ، وقواعد تضئ لهم الطريق وتفتح أمامهم سبل القول .

الثاني : نقلي ، وهو ما اثر عنهم من تلقيهم لبعض الشعراء او القصائد ، وكان بعض الشعراء يعنون بأشعارهم وينقحونها قبل ان يذيعوها بين الناس واشتهر زهير بن ابي سلمى بالحواليات ، وتبعه في ذلك الحطيئة وغيره ممن اهتموا بتنقيح الشعر وتجديده ، وكان الحطيئة يقول : (خير الشعر الحولي المحكك) ، وقال الاصمعي : (زهير بن ابي سلمى والحطيئة واشباههما عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين) .

أثر القرآن في نشأة البلاغة

للقرآن الكريم اثر عظيم في البلاغة ، وقد شغل الناس به واخذوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ، ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه ، وما فيه من فنون ، وقف العرب أمامها مبهورين ، وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها أحق العلوم وأولها بالحفظ بعد المعرفة بالله جل شأنه ، لأن الانسان اذا اغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحنه به من الایجاز البديع ، وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبید عن البلاغة انها : (ما بلغ بك للجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك بمواقع رشك وعواقب غيك) .

وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع ، وكانت احدى آياته مدعاة الى ان يؤلف ابو عبيدة كتابه (مجاز القرآن) اذ سأله سائل فقال ان الله عز وجل يقول : **{طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}** (الصفات : ٦٥) .

وانما يقع الوعد والایعاد بما عُرف مثله وهذا لم يعرف ، فأجابه ابو عبيدة في قوله : (انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس

أَيَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي **وَمَسْسَنُهُ زَرْقُ كَأَنْيَابِ أُغْوَالِ**

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم او عدواً به ، فاستحسن السائل ذلك الجواب .

وانتهى ابن خلدون الى ان ثمره علم البلاغة انما هي في فهم الاعجاز من القرآن لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهي اعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجوده رصفها، وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن ادراكه .

وكانت لمسألة اعجاز القرآن اثر كبير في تطور البلاغة العربية ، وكان المتكلمون اول من بحثوا في الاعجاز ، واختلفت وجهات النظر في ذلك وتشعبت سبل القول ؛ لأن الوصول الى ذلك صعب ، وتحديد البلاغة في كتاب الله اصعب ، ولكنهم مع ذلك مضوا يتلمسون بلاغة القرآن ويبينون اعجازه ، فكانت دراساتهم أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن ان يتذوق الكتاب العزيز ويفهم البيان :

ومن اشهر الذين عنوا بهذه المسألة ابو عبد الله محمد الواسطي (ت. ٣٠٦هـ) الذي ألف كتاب (اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) .

ومنهم ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت. ٣٨٦هـ) صاحب رسالة (النكت في اعجاز القرآن) ، وقد ذهب الى ان القرآن معجز ببلاغته ، وهو اعلى طبقات الكلام .

وابو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ) مؤلف رسالة (بيان اعجاز القرآن) وقد رأى ان البلاغة ترجع الى جمال الفاظ القرآن وحسن نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس .

ومنهم ابو بكر محمد الباقلاني (ت. ٤٠٣هـ) الذي ألف كتاب (اعجاز القرآن) وهو من الكتب المهمة ، وقد ذهب الباقلاني الى ان كتاب الله معجز لأنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب .

والقاضي ابو الحسن الاسد آبادي (٤١٥هـ) الذي كان الجزء السادس عشر من كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) خاصتاً بإعجاز القرآن ، وقد ذهب الى ان القرآن معجز بنظمه ، وهي الفكرة التي بنى عليها عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) كتابه (دلائل الاعجاز) .

وهذه الكتب وغيرها تعد من اهم مصادر دراسة البلاغة ؛ لأنها تعرضت لأسلوب القرآن الكريم ، وتكلمت عن اساليب العرب في الكلام ، وقد كان اثرها عظيماً في تطور البلاغة واستقلالها عن الدراسات الادبية والنقدية .

علم المعاني

هو العلم الذي تعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق اقتضاء الحال . وهذا التعريف حسب ما اتفق عليه رجال البيان واعلم ان المعاني جمع معنى ، وهو في اللغة : المقصود ، وفي اصطلاح البيانين : هو التعبير باللفظ عن ما يتصوره الذهن او هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ .

موضوع علم المعاني هو اللفظ العربي من حيث افادته المعاني الثواني التي هي الاغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال .

والمعاني الاول هي مدلولات التركيب والالفاظ التي تسمى في علم النحو (اصل المعنى) أما المعاني الثواني هي الاغراض التي يساق لها الكلام لذا قيل : (مقتضى الحال) . وهو المعنى الثاني كردّ الانكار ، ودفع للشك ، فمثلاً اذا قلنا : (ان زيدا قائمٌ) فالمعنى الاول هو القيام المؤكد ، والمعنى الثاني هو رد الانكار ، ودفع الشك اللفظ ، الاشارة ، الكناية ، العقد ، الحال .

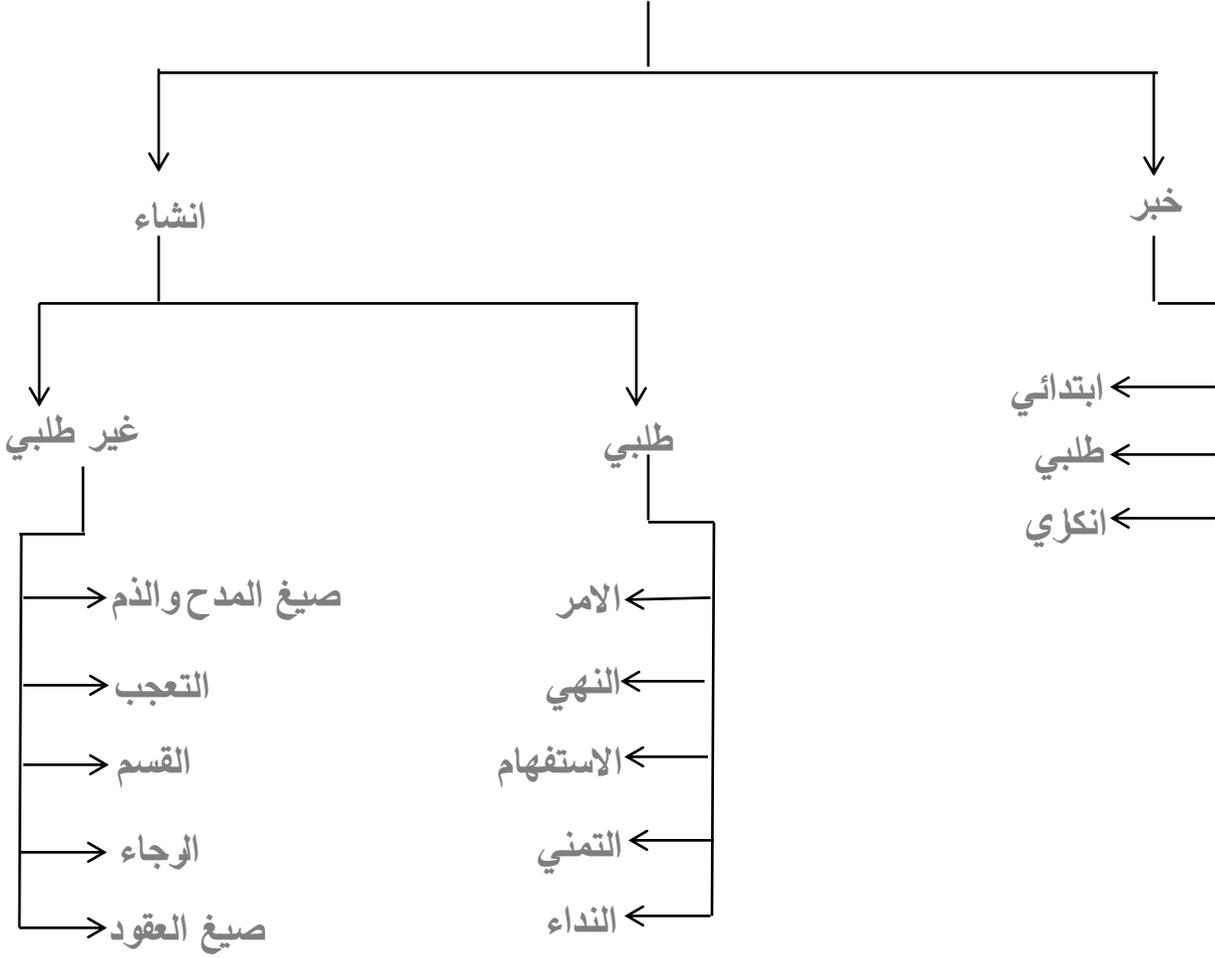
فائدة علم المعاني

1. معرفة اعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصّه الله من جودة السبك ، وحسن الوصف ، وبراعة التركيب ، ولطف الایجاز ، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب ، وجزالة الكلمات ، وعذوبة الالفاظ وسلامتها .
2. الوقوف على اسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنطوقه كي تحذو حذوه ، وتنسج على منواله ، وتفرق بين جيد الكلام ورديئه .

استمداد علم المعاني

من الكتاب الشريف ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب (المنظوم والمنثور) .

تقسيم الكلام



الخبر

هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته فان كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً ، وان كان غير مطابق للواقع كان قائله كاذباً ؛ وذلك لتدخل الاخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى ، واخبار رسله والبيهيات المعروفة والمألوفة نحو : السماء قوقنا ، والنظريات المتيقن صدقها ولا تحتمل شكاً كأثبات العلم والعقيدة للمولى سبحانه وتعالى وهناك اخبار واجبة الكذب كأخبار المتبئين في دعوى النبوة وقولنا : (العلمُ نافعٌ) اثبتنا فيه صفة النفع للعلم وتلك الصفة ثابتة له سواء تلفظنا بالجملة السابقة أم لم نتلفظ بها لأن نفع العلم أمرٌ حاصل في الحقيقة ، والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ، والمراد بكذبه عدم مطابقته له فجملة : العلم نافع إن كانت نسبته الكلامية ، وهي ثبوت النفع للعلم المفهومة نحو : الجهلُ نافعٌ فنسبته الكلامية ليست مطابقة ، وموافقة للنسبة الكلامية فما دافع الواقع فهو صدق ، وما خالف الواقع فهو كذب ، ولكل جملة من جمل الخبر ركنان .

المحكوم عليه (المسند إليه) ، والمحكوم به (المسند) ، وما زاد على ذلك من المضاف اليه ، والصلة فهو قيد .

مواضع المسند إليه : (المبتدأ) او (المحكوم عليه)

الفاعل ونائبه ، المبتدأ الذي له خبر ، ما اصله مبتدأ (قبل دخول النواسخ عليه) كاسم كان واخواتها .

مواضع المسند :

الفعل التام ، خبر المبتدأ ، ما أصله خبر .

أمثلة

قال ابو فراس :

الرزق والحرمان مجراهما بما قضى الله وقّدا

الجملة خبرية والمسند اليه (المبتدأ) هو : الرزق والحرمان .

والمسند (الخبر) هو : مجراهما .

قال ابن عبد ربه يصف الدنيا :

ألا إنما الدنيا نظارةٌ أيكّة إذا إخضّرّ منها جانبٌ جفّ جانب

الجملة خبرية والمسند اليه (المبتدأ) هو : الدنيا ، والمسند هو : نظارة ايكّة .

أضرب الخبر

حين كان الغرض من الكلام هو الافصاح والاظهار مما يجب ان يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يشخص حالته ويعطيه ما يناسبه فحق الكلام أن يكون بقدر الحاجة لا زائداً عنهما لئلا يكون عبثاً ولا ناقصاً عنها لئلا يخل بالغرض ، وهو الافصاح والبيان .

وتختلف صور الخبر في أساليب اللغة اختلاف أحوال المخاطب التي تعتريه احوال ، إذن للمخاطب حالات ثلاث :

أولاً : الخبر الابتدائي

ان يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر وغير متردد فيه ولا منكر له وفي هذا الحال لا يؤكد له الكلام لعدم الحاجة الى التوكيد ، اي يُلقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب من الخبر (إبتدائياً) نحو قوله تعالى : {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا} (الكهف : ٤٦) .

قال ابو تمام :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهلٌ ويكدي الفتى في دهره وهو عالم

فالكلام خبري ابتدائي لأنه غير مؤكد بأداة توكيد .

ثانياً : الخبر الطلبي

ان يكون المخاطب متردداً في الخبر طالباً الوصول الى اليقين بمعرفته وفي هذه الحال يستحسن تأكيد الكلام الملقى اليه تقويةً للحكم ليتمكن من نفسه وي طرح الخلاف وراء ظهره ويسمى هذا الضرب من الخبر (طلبياً) من قوله تعالى : {لْيُؤَسِّفُوا وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَمَا مِتُّ} (يوسف : ٨) .

ثالثاً : الخبر الانكاري

وهو الخبر الذي ينكره المخاطب انكاراً يحتاج الى ان يؤكد باكثر من مؤكد من ذلك قوله تعالى : {إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ} (الصافات : ٣٨)

مؤكدان ليزيل عنهم الشك والانكار

ملاحظة : يقرأ الطالب اضرب الخبر ومؤكدات الخبر واغراضه الحقيقية والمجازية في الكتاب المقرر .

الانشاء

هو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه او لا يطابقه .

الانشاء قسمان :

انشاء طلبي : وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وهو خمسة أنواع : الأمر - والنهي - والاستفهام - والتمني - والنداء .

انشاء غير طلبي : وهو ما لا يستدعي مطلوباً ، وله أساليب مختلفة منها : صيغ المدح والذم - والتعجب - والقسم - والرجاء - وصيغ العقود .

ملاحظة : يقرأ الطالب اساليب الانشاء (الطلبية وغير الطلبية) في الكتاب المقرر .